

رواية مدلته كاملة



لتحميل المزيد من الروايات زوروا موقعنا

ايجي فور تريندس

او يمكنكم زيارة الموقع مباشرة من خلال

الروابط التالية

www.egy4trends.com

لسنوات كانت له ...

فطبقا لاعراف البلدة كانت بنت العم لابد ان

تتزوج ابن عمها ..

فكانت له منذ ولادتها ..

وعندما كبرت ..تمردت على الاعراف

..والتقاليد ...

كانت تقف امام باب المدرج مع زملائها بعد

خروجهم من المحاضرة .

كانت اخر محاضرة لهذا العام ولم يعد على

الإمتحانات النهائية سوى اسبوعين وبانتهاء

الشهر تبدأ الاجازة الصيفية .

كان الحديث يدور بين الجميع حول مكان

قضاء الاجازة .

فالبعض سيقضيها على الشواطئ مثل

شاطئ الاسكندرية او مرسي مطروح او

الغردقة او العين السخنة ...بينما تحسر

البعض على قضاءها بالمنزل ؛مننديين بسوء

حظهم .

هنا تدخلت ساخرة: " اما انا فساقيها

باسوان "

فتحت بتعليقها بابا للمواساة و السخرية

مما سبب ضحكاتها وابتساماتها .

فأشفق عليها الجميع بما فيهم من

سيقضون اجازاتهم بالقاهرة ..

فالجميع يعلم انها من اهل اسوان ..وان

عليها العودة الى مسقط راسها لقضاء

اجازاتها مع اهلها حتى لو كان الجو لا يسمح

على الاطلاق سوى بالذهاب الى الشواطىء

وليس الى اكثر مكان حار فى مصر .

تقبلت مواساتهم ..وتعازيهم الساخرة منها

بابتسامة .

فاذا كانوا قد شعروا بالاسف على انفسهم
لقضاءهم الاجازة الصيفية فى بيوتهم؛فقد
نسوا فى غمرة سخريتهم منها حالهم .

ولكن السخرية توقفت فجأة عندما التفت
زميلتهم ايمان الى يسارها مشيره بيدها ثم
هتفت بجرأة كبيرة: " هل ترون هذا القمر ...
كالبدر فى تمامه !!"

كانت ايمان معتادة على الاشادة بوسامة
الرجال بجرأة قد تصل احيانا الى حد الوقاحة
غير آبهه لكونها فتاة ولا يصح لها ذلك او
حتى لوجود زملاء ذكور لها يسمعونها وقد
يسيئون فهمها .

التفتت بشكل عفوى لترى من تقصد ايمان.

شحب وجهها وهى ترى محمود ..

فهذه اول مرة يأتى الى كليتها .

اذن فلقد حدثت مصيبة تستدعى وجوده

هنا !!

لم يكن قد رآها عندما اشارت ايمان عنه
..ولكن عندما التفتت رآها فأشار اليها.

جمعت كتبها واوراقها لتذهب نحوه .

بينما سالت ايمان بفضول كبير ولهفة :

اتعرفينه؟"

كادت تجيب (زوجي)

ولكنها عوضا عن ذلك اجابت : " ابن عمى "

فلا احد يعرف بالجامعة انها متزوجة .

اوقفتها ايمان وهى تمسك يدها : " وسيم

للغاية ابن عمك هذا ...الن تعرفينا عليه؟"

ردت بينما القلق ينهشها من سبب حضوره

؛فهو ولعامين كاملين لم يحاول ان يحضر

لاى سبب: " فيما بعد.. فيما بعد ستعرفينه
."

أوقفها احمد زميلها: " نهى ..اريد ان اتحدث
معك ".

كانت تعلم ان احمد معجب بها برغم انها لم
تشجعه على الاطلاق ..

فيما يبدو يريد ان يصارحها بمشاعره ..في
اسوء توقيت على الاطلاق .

عاد أحمد ليوقفها عبر مسك يدها التى
انتزعتها بسرعه وبنظرة قاسية ..

كانت أول مرة يحاول أحمد أن يممسك يدها
..ولولا توترها الداخلى لظهور محمود

المفاجئ لعنفته .ولكنها الان تحترق لتعرف
سر الزيارة ..

لم يغيب ذلك عن نظر محمود الذى رفع
حاجبه دهشة رامقا أحمد بنظرة قاتلة ..
بدا نافذ الصبر وهو ينتظرها حتى وصلت
اليه .

سالت بلهفة : " ماذا هناك يا محمود ؟ ماذا
حدث؟ "

رد بهدوء : " نسيتى هاتفك بالمنزل ..والدتك
تنتظرك هناك ."

ردت بفرع : " ماذا ؟

امي؟!!!

لما؟أحدث شيئا؟أبى بخير؟..هل هو مازن؟"

نظر اليها مطمئنا بينما يتوجه نحو سيارته :
الجميع بخير..اطمئنى ..لقد سالتها واخبرتني
ان الجميع بخير..ولكنى رغم ذلك شككت

فقررت أن أهاتف (علي) ابن خالتك وهو كما
تعرفين ..اذا كان هناك شيئاً لما اخفاه ...
واخبرنى أن كل شئ بخير".

عادت تسال بحيرة بينما تربط حزام الامان :"
إذن ما الأمر ؟ ..انها أول مرة تفعلها منذ ..
منذ".

صمتت ..فلقد فهم إشارتها ...كادت ان تقول
زواجنا ..ذلك الزواج الصورى الذى دام
لعامين حتى الان .

نظر الى توترها الظاهر بطرف عينيه ثم قال :"
اهدأى ..فربما جاءت لتغير الجو ..او ربما
شعرت بالملل هناك وقررت البقاء معنا لايام
..او ربما تشاجرت مع عمى ..وقررت ان تترك
له المنزل " .

هزت رأسها نافيه كل فرضياته ..

فبرغم أن كلامه كان محاولة منه لازالة التوتر
او تخفيفه الا انه لم يؤت ثماره .. بل زادها
قلقا وتوترا ..

فوالدتها دوما ما كانت تصرح بأن المرأة التي
تخرج من بيتها هي امرأة وقحة وغير
محترمة .. ولا تعترف بتغيير الجو ..

وتعبر عن رأيها بصراحه في النساء اللواتي
يخرجن من بيوتهن بكونهن سافرات ؛
متزوجات من أنصاف رجال .

حتى عندما ناقشت مرة بعض النسوة في
موضوع ضرب الرجل لزوجته وهو امر جائز
في الصعيد الا ان والدتها ابدت اشمئزازها من
الزوجه التي تخرج من بيتها غاضبة حتى
لهذا السبب !!

كما انها تعلم ان والدتها لم تغضب قط من والدها .. فهي دائما ترضيه وهو ايضا حريص على رضاها .

لابد ان هناك امرا جلا حدث حتى تأتي من أقصى الصعيد ..أمرا لم تستطع عليه صبرا حتى انتهاء اسابيع الامتحانات ..

اوصلها محمود حتى باب المنزل تاركا اياها ليعود الى عمله .

صعدت السلالم تكاد تجرى ..

وما بين قبلات الام حاولت ان تفهم من ملامحها ما الذى دفعها الى ترك منزلها الغالى والمجئ الى القاهرة .. لكن الام لم تعر سؤالها اهتماما .

بل ظلت تسالها عن احوالها واحوال زوجها وكيف هو معها ..وكيف يعاملها ..

وأخيرا نظرت الى يد ابنتها؛ ثم سألت بحدة: " اين هو خاتمك ؟ وكيف يسمح لك زوجك بالا ترتدى خاتمه بيدك؟ ساتحدث معه عند عودته ..فهو يفرط فى تدليكك "

كان صبرها يوشك عل النفاذ .

فحتى الان لم تعرف ماذا وراء تلك الزيارة المفاجئة .

كانت تنتظر بصبر حتى تنهى الام أحاديثها التى لا تنتهى .

وأخيرا ..

قالت الام: " ستأتين معى بالغد الى الطيبية النسائية ..فلقد تأخرتى بالحمل كثيرا ..ومن تزوج بعدك معها طفل او اكثر .وانتى المتزوجة منذ عامين "

هل تذكرت امها فجة انها لم تنجب ؟!

صدمت من الكلام ..

فحديث الام ليس نصيحة او لوم ..

وانما جاءت بعد سفر لساعات وقد قررت

الذهاب ال الطيبة ...

جاءت وقد عزمت امرها!!

حاولت اثناءها عن قرارها مبررة انها وزوجها

لا يرغبان بالاطفال الان ..ولا يفكران بالامر

على الإطلاق ..

فما كان من الأم إلا أن فجرت قنبلتها :

"حماتك تبحث عن عروس لزوجك .."

حسنا ..زوجة عمها لم تحبها قط ..

نعم عاشا معا لسنوات طويلة بذات المنزل

..ولكنها لم تتقبلها كزوجة لإبنها .

ولم تخفى نفورها من فكرة زواجها من ابنها .

والان فيما يبدو وجدت المبرر القوى لإزاحتها

من حياة ابنها ..

والحجة هى الإنجاب .

فهى فى نظر الجميع عاقر ..برغم أنها مازالت

عذراء .

فهى المتزوجه لعامين كاملين دون إنجاب

وعليه تبحث الأم عن زوجة أخرى لتنجب

الوريث ..

كيف تشرح لأمها الثائرة انها ليست عاقرا ..

بل كيف تشرح لها طبيعة العلاقة التى

تجمعها بمحمود .

أدخلت امها لترتاح من عناء السفر بعد

الحاح؛ بينما غرقت هى بالاريغة تتذكر زواجها

بدا الامر بعيدا ..للغاية ..

فلقد بدأ منذ مولدها ..

فلقد اتفق والدها واخيه يومها على زواجها

من ابن عمها . من محمود والذي كان

بالعاشرة من عمره .

محمود الذي كان يحملها رضية بينما يؤكد

الجميع انها خطيبته .

كان دوما متواجدا ..

يكبرها بقدر كافي لألا يكون رفيقا للعب ولكنه

كان مدافعا عنها ومنقذا لها في شقاوتها

ومواقفها المحرجة .مساعد لها في واجباتها

المدرسية و معلما احيانا ...يشرح ما يصعب

عليها فهمه .

لا تتذكر أى ذكرى بطفولتها او مراهقتها لم

يكن فيها.

كان دوما متواجدا بحكم كونهم يعيشون
بمنزل واحد كبير يتحكم فيه الجد الذى أبى
على أى من ولديه ان يعيش فى بيت
منفصل مؤكدا بأن بإمكانهم فعل ذلك بعد
وفاته ..ولكن طالما هو حيا فسيعيشون
جميعهم معا .

وبالطبع وافق الاخوان ..فهو أمر شائع
بالصعيد .. وايضا لارضاء والدهم ..
ولكن زوجاتهما لم يكونا على وفاق ..وبرغم
ذلك لم تظهر خلافاتهما ابدا على السطح
وان كانت المشاعر السلبية بينهما واضحة
الأعمى .

لم تعر أمر الخطبة المزعومة من ابن العم
اى اهتمام ..

فدوما ما اعتبرتها مزحه ..كلام ...مجرد كلام ..

لا يرقى الى الواقع .

و زاد من قناعتها تلك تكرار سفر محمود الى
القاهرة حيث الشركة التى افتتحها فأصبح لا
يعود إلا يومى الخميس والجمعة الى المنزل

وأصبح تواجهه بعيدا دافعا للاعتقاد انه ربما
هناك حبيبة له سرعان ما سيعلم عنها
وسيتزوجها وبالتالي امر الزواج الذى يخطط
له الابوان والجد سيذهب ادراج الرياح ..

كانت تشعر مع تفكيرها ذلك بالراحه ..ولكن
مع اقتراب عيد ميلادها الثامن عشر تغير
كل شئ.

مع إقتراب عيد ميلادها الثامن عشر تغير
كل شئ.

فالوضع بالمنزل تغير كثيرا...وجدت الخطط
والأحلام تتحول إلى واقع .

فالجدة أمرت ان يتم عقد القران بيوم ميلادها ..

كما أمر والداتها بالذهاب الى القاهرة لشراء
جهازها وكل ما تحتاجه من ملابس و
متعلقات نسائية .

بل و أمرو والدي محمود بالنزول الى افضل
واغلى محلات الذهب لشراء شبكة
العروس .

و شرع في تجهيز جزء من المنزل لاستقبال
العروسين .وعلى الاخص بالطابق العلوى
لضمان الخصوصية .

وتم اختيار الاثاث ..

وفجأة .

تحول كل الحديث بالبیت عن العرس ..و

أین سيقام ومن سيدعون ...

شعرت أنها تحلم وعندما تستيقظ ستجد

كل ذلك مزحة سخيفة .

كانت تشاهد كل مظاهر الاهتمام والتغير

بالمنزل على كونها لا تخصها ..

فمن غير الممكن ان تتزوج هكذا ..

فمحمود كأخيها ..

لم تره سوى أخيها الأكبر الذي يدلها ..

الأخ والمعلم والمدافع والحامي والصديق ..

بل أنها تقسم أنه أقرب إليها من مازن أخيها .

فكيف يزوجونها !!

لا ريب أنه يشاركها رأيها .

وعندما عاد محمود في اجازة نهاية الاسبوع
كان لا بد لها من محادثته ..

فهو فقط من بيده ان ينهى ذلك الامر لانها
لو رفضته لارغمها جدها او لوجدت نفسها في
محل دفاع عن النفس امام الجميع بدعوى
وجود اخر بحياتها ..

سهلت لها امها الفرصة ان تلقاه ..ولما لا وهو
زوج المستقبل القريب .

والتي رأت انه لا ضير من جلوسهما معا ربما
لنقاش امور حياتهما معا .

بادرته دون تحية او سلام: " ماذا سنفعل؟"

سأل بهدوء: " فيما؟"

كانت منفعله بينما تهتف: " الا تعلم ..

سيزوجونا !!"

سألها ساخرا: " وهل فاجأك الخبر؟ الم

تعلمى به منذ مولدك."

بالطبع ليس مفاجئة ..

فالجميع يعلم منذ زمن بهذا الزواج ..ولكنها

الوحيدة التى لم تستطيع ان تصدق .

ردت لاهثة: " اعتقدته مزحة ...لا يمكن ان

تكون حقيقة ..أستوافقهم على ذلك؟"

أشاح بنظره عنها وهو صامت .

كان يبدو عليه التفكير ثم رد مزامحا: " يا

صغيرتى ..أنا زوج مثالى وفرصة لا تعوض".

رمته بكتاب كانت تحمله فالتقطه بسهولة

بالغة بينما هى تقول ناهرة: " توقف عن

المزاح فالموقف لا يحتمل ..ماذا

سنفعل الان؟"

صمت لدقيقة ثم قال : " سأحادث جدى وأبى
."

اطمئن قلبها قليلا ..وجلست تنتظر عودته ..

متوقعه عودته بحل لتلك المعضلة

فكهذا تعودت منه ..

مرت ساعتين بدتا كيومين حتى عاد بوجه
صلب جامد .

سألت بلهفة : " ها .ماذا حدث؟"

أجاب بصوت محايد : " عقد قراننا سيكون فى
عصر يوم الاربعاء القادم ."

ردت مذهولة غير مصدقه : " ماذا ؟...و ماذا
تغير اذن؟؟ .. فهذا ما تم ابلاغى به من قبل
..ماذا فعلت انت وفيما تحدثتما؟"

رد بينما يجلس باسترخاء على احدى الارائك
:" لقد ذهبت لأحداث جدى بالبداية وأخبرته
أنى غير موافق على الزواج بتلك الطريقة
العتيقة التى لا تتوافق مع العالم اليوم او
مع الدين ..فسألنى اذا كانت هناك أخرى
تشغل تفكيرى وقلبي وعندما اجبته بالنفى
؛ أكد لى أنى لن أجد من هى أفضل منك
فانتى لحمى و دمي و أعرفك كما أعرف
نفسى و ابنة عمى ...وأنا ..وأنا من قام
بتربيتك ..كما ان أموالنا ...و أعمالنا ..لا
ينبغى لها ان تذهب إلى الأغرب ..".

تنهد مستأنفا:" حاولت ان أخبره انه ربما
أنتى من لا تريدنى زوجا لك ..نهرنى بشدة
وأنهالت علي سيل الشتائم ."

ثم تغيرت نبرة صوته مقلدا الجد : " احترم
نفسك يا ولد ...بناتنا لا غبار على أخلاقهن

... ولا يعرفن الرجال ..وأبنة ابني ليس في حياتها أحد حتى ترفضك ...وهى مطيعة ولا ترفع عيونها قط في وجه ابيها الذي وافق على تزويجها منك وانتهى الامر ..ولا اريد ان اسمع منك كلمة أخرى في هذا الموضوع ."

ثم عاد الى نبرة صوته الرجولية المميزة : " و أنتهى النقاش بشكل حضارى كما تعلمين جدنا ..فتدفقت السباب من فمه عن سوء خلقى وتربيتى ..و أن القاهرة غيرتنى ..و أنى ربما لا أريد الزواج حتى يتسنى لى الخروج عن الأخلاق والأنفلات بحرية ..وانه أخطأ عندما وافق على سفري وابتعادى عن أهلى لان السفر أعطانى الجرأة للوقوف أمام الكبار ."

كانت تعرف جدها وغضبه و أنه إذا خرج عن
هدؤه فانه لابد أرغى و أزيد وانه لم يستطع
أحد ان يوقف طوفان الإهانات التى لحقت
برأس محمود المسكين الذى تحمل كل
ذلك لأجل خاطرها .

لم تملك سوى ان تقول بلهجة يأسه :"
اسفه يا محمود ..أنا السبب ...لم أتخيل ان
أضعك فى هذا الموقف ..ولكن ..لكن ما
الحل الآن ؟"

قال بهدوء : " سنفعل كل ما يريدون ...زواجا
صوريا ...على الورق فقط ...وبعد فترة منه
قرري ما تريدين ..وسأنفذه لك".

هزت رأسها بإستسلام ولم تعرف بما تجيبه

فهى تحمله فوق طاقته وهو الذى كان دوما
حاميا لها ومدافعا عنها حتى أن الجميع
أطلق عليها مدلتته .

تتذكر إستنكار الجد لدلال محمود لها ..خاصة
أنها لم تكن تستحق الدلال .

فلقد كانت شرسة فى طفولتها ...تتعامل مع
أقاربها من الصغار بشراسة وعنف فتضربهم
و تتعارك معهم طوال الوقت ..و كانت تجرى
خوفا من انتقامهم وتختبئى خلف محمود
الذى كان يبعدهم عنها بإشارة وربما قام
بإرضاءهم ببعض القروش .

كانت تعلم انه لولا وجوده لربما تجمعوا
حولها وضربوها بشدة ..

ورغم ان الفارق بينهما ليس كبيرا للغاية الا
انها شكت انه ينظر اليها كأبنة ..

برغم انها تعترف انها مسبب للمشاكل التى
يتبرع هو لحلها .

لم تعرف يوما كيف ينظر اليها و ما همها
كيف يراها ..

ما اهمها حقا هو ان تحصل على ما تريد .
وهاهى حصلت عليه ..

فهى تعيش بحرية ..تذهب الى الجامعة
وتصادق من تشاء ..

تعلم انها تسير بانضباط على مواعيد
الجامعة ولا تصادق غير الافضل ولكن تفعل
ذلك لانها تريد ذلك وليس خوفا من احد ..
ولا تستغل الثقة المطلقة التى اعطاها لها
محمود هباءا ..

فهو لا يفرض عليها شيئا برغم مشاركتها
لنفس المنزل .

فقط يجلسا ليتسامرا اخر اليوم...على مائدة
الطعام يتحدثان عن عمله او دراستها ..او امور
الحياة العادية ..

دوما ما كانت الحياة معه سلسلة سهلة ولينة
.. بعيدة عن التعقيد ..فيمكنها ان تقول ما
شاءت دون تفكير او خوف من سوء ظن ..
علاقتهما علاقة مريحة للغاية ..ليس بها من
التعقيد شئ.

كانا كاصدقاء ...وليسوا كزوجين ؛للزوج عليها
اليد العليا ..

فقد كان كريما معها ..يعطى لها مصروفا
خاصا بينما تهتم بالمنزل مدبرة خاصة
لتتفرغ هي لدراستها .

كانا يبدوان كاخوين اكثر منهما كزوجين كما
بدوا طيلة حياتهما وقد اعجبها ذلك كثيرا
ولكن الان تعكرت حياتهم بما تخطط له
حماتها من مصيبة ..

عادت لتفكر بالامر من زاوية مختلفة..

هل الامر مصيبة بالفعل ؟

ربما تكون والدته على حق ..

اليس في بقاء حياتهما على هذا المنوال
ظلما له؟

كانت تعلم انه من المستبعد ان تكون له اية
علاقات نسائية ..فهو يصرى ويخشي الله ..

اذن الى متى سيظل ناسكا؟؟

الا يرغب بالاولاد كما يرغب ابويه وابويها ؟

ربما تلك المصيبة لا تعد مصيبة ..

ولكنها كذلك من وجهة نظر امها او في نظر

اي شخص عاقل ..

دق هاتفها النقال .

كان لنسيانه صباحا نعمة ..فلو كانت عرفت

من خلاله بوجود امها لماتت قلعا في انتظار

فهم السبب ..ولكن وجود محمود الى جوارها

طمأنها بشكل كبير.

نظرت الى شاشة الهاتف ..كان اسم محمود

ظاهرا ...تأخرت في الاتصال به ...فهو ايضا قلق

من سبب الزيارة الغامض ..وربما يتآكله

الفضول والتوتر كما كانت هي قبل ان

تلتقى والدتها .

ردت بهدوء عليه وعلى تحيته ثم سال

بفضول : " هل عرفتى سبب الزيارة؟"

ردت بلهجة تمثيلية: " ستتزوج باخرى يا
زوجى ..وبعد كل تلك السنوات ستتركنى !!"
شعرت بابتسامته بينما يسال بفضول اكبر:
سأتزوج؟؟!!...ومن هى سعيدة الحظ التي
ستنال عذا الشرف ...فقط اعلمينى ."

اجابت بلا مبالة : " لا اعرف ...اسال والدتك
..فهى من تختار لك الان ..من الواضح انها
تبذل محاولات حثيثة فى ايجاد زوجة لك
لكونى لا انجب كما تعلم ."

سال : " ثم ؟"

اجاب بلامبالاة : " لا شئ ..امى هنا حتى
نذهب للطبيب حتى اعالج وانجب حتى لا
يخرب بيتى ؟"

سال : " وماذا ستفعلين ؟"

ردت بحيرة : " لا اعرف ...لقد اقنعتها بصعوبة
ان تدخل لترتاح ...ولكن غالبا سيتم فتح
الموضوع ثانية بعد استيقاظها ..ولا اعرف
كيف اجيبها "

سال: "وماذا ستفعلين؟"

ردت بحيرة : " لا اعرف ...لقد اقنعتها بصعوبة
ان تدخل لترتاح ...ولكن غالبا سيتم فتح
الموضوع ثانية بعد استيقاظها ..ولا اعرف
كيف اجيبها "

صمت لدقيقة ثم قال بحزم : " ساعود بعد
حوالي الساعه ..وساتحدث معها..ولكن بعد
الغداء ...فانا جائع "

ارتاحت نفسيا لسماعها انه سيتولي الامر.
...فمن المؤكد سيجد حلا ..

دوما ما يجد حلا ..

وبعد الطعام. تحدث محمود الي والدتها ..

لم تعي تماما فيما تحدثا ..ولكنها فهمت انه
اكذ لها انه لا يفكر بالزواج باخرى ..لاي سبب
..ثم استطرد ساخرا: " وهل هناك عاقل

يفعلها مرتين!"

كان مقنعا بينما يخبر والدتها انه يحب
زوجته ولا يفكر في الانجاب في الوقت الحالي
..وانه اذا فكر ..فسيسلك كل السبل للعلاج
دون تردد..ولكنه يعلم ان زوجته منشغله
بالدراسة ولا يريد تشتيتها ..

كان حديثه للام مهدئا .

فعقدت العزم علي العودة سريعا الي بيتها
في الصباح الباكر بانتظار عودتهم مع انتهاء
اختبارات نهى .

وجدت نفسها تشكر محمود علي حسن
صنيعه . برغم انها لم تعتاد شكره من قبل
علي شيء..

كان رده بان الموضوع لا يستحق الشكر
..ولكنها اكدت انه يستحق بينما تستطرد
مؤكدة: " انت لم تري امي وهي تقول "
وقفت تقلد امها بلهجتها الصعيدية المتقنة
:"لماذا لا تجري عيال الانابيب الذين اسمع
عنهم وسيتكفل اباكى بكافة المصاريف "

ضحك محمود علي تقليدها المتقن ..

وخاصه علي لفظ عيال الانابيب .

ضحكت لضحكه بينما تتأمل اسنانه

المصطفه بترتيب ولمعان ..

ولكن ما لبثت ان جمدت ابتسامتها بينما

تود ان تسال ..اتريد عيالا؟

اتريد الزواج ؟

من المؤكد انه يريد ...فهو ...تخطي الثلاثين
من عمره ...ووسيم. ..ورجلا ...وبالطبع لديه
رغبات .

و ..وهو جيد للغايه مع الاطفال ...صبور.
..محب. .. متفاهم. ..و ...و مرح. ..

يحبهم ويحبونه ..

اتساله؟

تعلم انها ان سالته لصدقها القول ..

دوما ما عرفته صادقا ..

رباه عمها بشدة وحزم وانتج رجلا يفخر به .

ولو سالته ..ماذا ان اجاب نعم اريد زوجة

واطفال !؟

و لاول مره تعي انها ظلمته ..

ظلمته بشدة..

ظلمته بانانية ..

ظلمته يوم قبلت ان يضحي بسنوات عمره
معاها في لعبة لا ترقى الي زواج ...لتكمل هي
تعليمها ..

انانية هي بينما تراه يمثل دور الزوج المحب
السعيد ..

ما ذنبه ان يقيد نفسه بزواج اسمى ...

ما ذنبه ان يخضع لكل تلك الضغوط !!

مرت الامتحانات بينما تحاول ان تصرف عن
نفسها الاحساس بالسوء الذي تغلغل
بداخلها بينما ادركت سوء فعلتها .

كانت تحاول جاهده ان تركز في دراستها
واختباراتها..والا تفكر في كل ما مضي ..

فما فعلاه ...كان منذ عامين ...

ولعامين كاملين لم تلتفت او تحلل فعلتها ..

لعامين لم تحاول ان ترى احد سواها. ..ترى
مصلحتها وحدها ...وما تتوصل اليه من نتائج
واستفادات ..

لقد اعجبها ما وصلت اليه ...وراق لها استقرار
الامور ..ولم تفكر فيما يدفعه هو من ضريبه
لا ذنب له فيها..

الا يطمع في بيت وزوجة!!

الا يطمع في اطفال !!

الا يرجو حياة طبيعية كأى رجل !!

بينما هي وبأنانية مفرطة تحرمه من كل
ذلك .

عادا الي منزلها ...منزل العائلة ...
ذلك البيت الكبير حيث ولدت وكبرت ...و
تزوجت ..

كانت تحب المنزل وقاطنيه ..

وكيف لا وهو الذي شهد كل ذكرياتها و
طفولتها ومراهقتها

لكنها اليوم خائفة ...

ومتراقبة ..

تستشعر ضيقا لم تحاول ان تخفيه ...

رآه محمود واضحا علي ملامحها فسالها عن
سببه .

" من المؤكد ان امر الانجاب سيفتح...لا

ريب سيفتح".

اجابت بتوتر..

لم يرد..فزاد خوفها ..

فسألت برجاء: " بماذا ستجيبهم؟"

رد بتنيهده: " لا اعرف".

التفت ينظر اليها طويلا بغموض ثم

استطرد:" سنجد حلا...لا تقلقي...سنجد حلا

."

كان توقعها الا يفتح الموضوع الا بعد فترة

من وصولهم ؛ الا ان الموضوع الذي كان

يشار اليه في الاجازات السابقة علي استحياء

..الان لم يعد هناك تكلف في السؤال عنه

...بل اصبحت هناك جرأة كبيرة في السؤال

والاستفسار .

فمثلا عندما ذهبت الي جدها لتراه وتحتضنه
بعد غيابها لشهور طويلة ..

سألها بلهفة : " ماذا هناك يا نهي؟؟ ... لا حمل
بعد؟؟؟ .. لماذا لا تذهبين الي الطبيب يا بنيتي
... اريد ان ارى اطفالكما قبل ان اموت "

شعرت بوجهها يشحب مع كل كلمة من
كلامه .. ولم تعرف بما ترد ..

واخيرا همست في خفوت : " ان شاء الله
... سافعل يا جدى ."

كان مقابلتها لزوجة عمها ... حماتها... هو
الاصعب ...

فهي لم تخفي ضيقها منها وهي تتقبل
قبلات نهي بفتور ... بينما تردد اقوال من طراز

:

" الارض البور... لا يفيد فيها الاستصلاح..لا

فائدة ترجي منها "

كانت تعلم انها تشير اليها بالارض البور..

الارض التي لافائدة من زرعها..

ضايقتها تلميحات حماتها الفجة ..

ولكنها ابت ان تمنحها اي لذة بانها تظهر

ضيقها ..

خشيت ان تظهر انها نجحت في النيل منها ..

فعلي العكس

لم تمح عن وجهها الابتسامة حتي شعرت

كأن حماتها اوشكت ان تصفعا علي برودها

..

شيعتها حماتها بنظرة عرفت منها بان
موضوع الانجاب والزواج باخرى سيفتح مع
محمود لامحالة .

وبالفعل بدأت حماتها اللعبة ..
في البداية احضرت فتاة ...تقربهم بصلة قرابة
بعيدة ..
جالستها في القاعة امام نهي ..
وتحدثت امامها عن حظ محمود القليل ..
وكيف انه يتمني طفل ..ولكنه للاسف
محروم منه ..
كانت نهي تعرف الفتاة ...
فقد كانت زميلتها في المدرسة صغارا ..

ولسوء الحظ كانت تلك الفتاة تكرهها.. ولا
تشعر نحوها سوى بالغيرة و الحقد الطبعي

..

نظرا لتدني مستواها الاجتماعي ..

لم تكن بحاجة للكثير من الذكاء لتعرف انها
العروس المنتظرة ..

وانها تلك التي ترجوها زوجة العم لمحمود
لتصبح اما لاطفاله ..

كانت تراقب ما يحدث بغیظ ...

فمثلا عندما ارادت الفتاة الانصراف بينما
تصمم زوجة العم عليها الا تذهب دون ان
تسلم علي محمود .

وارسلت تطلب محمود الذي جاء دون ان
يعلم شيئا مما يحاك ..

سلم علي الفتاه مدعيا تذكرها ..وتذكر والدها

الذي ارسل له السلام .

ولم يكد يمر يوما حتي عادت الفتاة مدعية

سؤال محمود عن خدمة ..

وابدت زوجة العم ترحابا شديدا ..

حتي ليبدو للاعمي انهما اتفقا معا علي

ذلك ..

وجاء محمود ...مؤديا لها الخدمة ..

الخدمة التي تقسم علي كونها مفتعلة

...علي كونها وسيله للفت نظر محمود

للفتاة..

تمهيدا ...لتزويجها له .

شعرت بنفسها تغلي من الغيظ..

الي هذا الحد اصبحت اضحوكه الجميع ..

يلعب بها ..

وكأنها امرا ثانويا يمكن استبداله ..

ولمعت الدموع في عيونهامستشعرة لاول

مرة جملة امها عن البيت الذي يخرب ..

ولكن ..هل تملك من الاساس بيتا حتي

تخشي عليه الخراب؟!

كانت حركات حماتها مكشوفه ..ظاهرة

للعيان ..بينما تقف هي مكتوفة الايدي امام

ما يحدث .

زاد شعورها بحبها لذاتها مستغله كرم

محمود معها لابعد مدى ..

وهي تستحق كل تلك الاهدانات التي توجهها

لها زوجة العم

تستحق كل ما تفعله بها وبحياتها ..

كان محمود كما هو ..لا يبدو عليه اي تغيير ..

ولا يدري بشئ مما يحدث حوله ..

اوشكت ان تساله مره هل يفهم ما تسعي

اليه والدته ..

ولكنها تراجعت ..

خشية ..

خشية ان يكون عالما وموافقا ..

ماذا سيكون موقفها عندئذ؟

بالطبع لن ترضي ان تبقي معه ..تعيش مع

اخرى ..

من المستحيل ان تبقي زوجة له .

ولكن لو طلقها ..لانتهى حلمها بالدراسة الي

غير رجعة ..

بل وكل احلامها المستقبلية ..

وسيضطر والدها لتزويجها الي احد اقاربها
الذين سبق وعرض محمود اسماؤهم عليها
وهو يريها اي بديل ستحصل عليه لو صمم
علي رفض زواجهما امام جدهما ..
لم ترضي بهم من قبل .. ولن ترضي بهم قط..

وايضا لن تحمل لقب مطلقة ..

لن تصبح امراة طلقها زوجها واستبدالها
باخرى ..

و لن ..

توقفت عن التفكير في هذا المنحني بينما
توبخ نفسها 'الن تتوقف عن التفكير في
نفسها !!!الن تتوقف عن انانيتها المفرطة
وحبها لذاتها ..وظلمها لمحمود ..'

ستتحدث معه ..

وستعلمه انه لو اراد الزواج فلن تكون
عائقا امامه ..

وان من حقه ان يصبح ابا...وانها بانانيتها
تحرمه من ذلك وتحرم والديه وجدها ايضا ..

خرجت من غرفتها تبحث عنه حتي تخبره
بما قررت قبل ان تخونها الشجاعة وتعود
انانيتها للسيطرة عليها وتنسي كل الناس
ماعدا ما تريده هي فقط.

سمعت صوته عاليا الي حد ما ..

كان ذلك غير معتاد علي الاطلاق .

فهو هادئ..

كان يتحدث مع والدته : " ارجوكي ياامي ..لا
تتدخلني في ذلك الامر ..وتوقفي عن لعب دور
الخطابة ذاك".

اجابت الام بانفعال ودفاع : " من حقي ان
ارى اطفالك!"

قاطعها : " وانا لن اتزوج باخرى ..انا احب
زوجتي ولن اتزوج باخرى مهما حدث".

هتفت الام بحقد : " تلك الارض البور"

انفعل محمود وهو يهتف موقفا امه عن

الاسترسال في اهانتها : " اامي!!!"

ثم اكمل بصوت اكثر هدوءا : " من الممكن

ان اكون انا تلك الارض البور".

ردت الام وهي تهز راسها مشككة : " غير

ممکن ..لم تحدث من قبل في عائلتنا.

...مستحيل".

نظر اليها وهو يقول: "هاهي قد حدثت".

خرست الام بينما تتساقط الدموع من عيونها
بغزارة حتي ان نهى شعرت بالشفقة عليها ..

والصدمة مما آل اليه حديثهما .

لكن الام قالت باصرار وعزم: "سنسافر

للخارج..ونتابع مع افضل اطباء بالعالم".

رد بينما يشيح بوجهه عنها بالم: " فيما بعد

ياامي ..فيما بعد".

لم تستطع نهى ان تبقي في مكانها بعد ما

سمعت.

كانت كذبة محمود قاسية وطاعنة .

لماذا قبل ان يتهم نفسه بتلك التهمة

الظالمة؟!

كيف قبلت رجولته تلك الطعنة؟!

ما الذي يدفعه الي التمسك بها الي هذا
الحد؟!

ليس من الافضل له ان تظل متهمة بعدم
الانجاب فيكون من السهل التخلص منها
عندما يريد!!!

ما الذي يجعله يقبل ان يتهم هو بالعقم وان
يتحمل ضياع سنوات عمره بهذا الشكل ؟!
لاول مره لا تفهمه ..

تعلم ان اخلاقياته مثالية ..وانها رأته يفعل
الكثير من اجل اهله ..ولكن هناك حدود لاي
تضحية!!

هل يكون كل تضحيته تلك من اجل
دراستها ؟!

لكن يظل بامكانه عدم اتهام نفسه بتلك
السبة وهو المفعم بالرجولة .

دخلت الي جناحهما ..

وساقتها قدماها الي غرفة النوم الرئيسية .

كانت توجد صورة لزفافهما ..كبيرة فوق

السريـر المزدوج الواسع .

كانت تبدو فيها بابتسامة واسعة وراضية

..بينما هو كانت ابتسامته... مفتعلة

....ابتسامة تحمل هما .

لماذا لم تلاحظ ابتسامته من قبل ..

فلقد شاهدت تلك الصورة عشرات المرات..

ولكنها دوما كانت تهتم بكيف كانت تبدو

..وهل بدا فستانها لائقا ام لا ..وابتسامتها

ساحرة ام لا ..وتبرجها جميل ام لا ..

ولكن لأول مره تنظر الي الصورة لترى الاخر

الذي وقف بجوارها بكامل وسامته .

ذلك الاخر الذي بدا مهيبا بطوله الفارع و
فراغ عينيه التي بدت مسهدة لليالي طويلة
قبل ذلك الزفاف ورغم ذلك لم تنقص من
وسامته.

تعرف انه كان محور اعجاب الكثيرات دوما ..

دوما ماكان زميلاتها يتحججن بالدراسة
والمذاكرة معها حتي يتسني لهن رؤية ابن
عمها الوسيم.

وربما سماع صوته الاجش .

عندئذ اعتبرت تصرفاتهن مبالغة. او مراهقة
فتيات ...وحمدت الله علي عقلها واتزانها
المبكر .

ورغم ذلك فهي لا تنكر وسامته ...و ..و جمال
صوته وحركاته .

ولكن ما أهمها هو رجولته ...فهو يعتمد عليه
..ولا يخيب ظن احدا به ابدا .

ترددت في الوقوف في تلك الغرفة ...فهي
غرفة محمود..

فهو ينام فيها بحكم كونه الاطول قامة بينما
تنام عي في غرفة الاطفال حيث الاسرة اصغر
حجما واتساعا .

كانت تنظر الي الغرفة بتردد تنوى الخروج
سريعا عندما وقعت عيناها علي متعلقات
محمود ..

فهاهي علاقة مفاتيحه ..و حافظة نقوده .

كان قد القاهما باهمال علي المنضدة .

لم تستطع ان تقاوم فضولها لترى ما يحمل
في حافظته ..

فبرغم سنوات العيش معا كابناء عمومة و
كزوجين...الا انها لا تعرف عنه الكثير..
ويقولون ان حافظة المرء تكشف الكثير عن
شخصيته .

ولقد قررت ان تفهمه

فتحتها بترقب ..كانت منظمة ...فالاوراق
النقدية موضوعة بترتيب وعنايه واوراق
اخرى صغيرة و مطوية...

وبطاقات الهوية والقيادة و البنوك ... و صورة

..

صورة لها !!

صورة عمرها ست سنوات علي الاقل.

كانت في الرابعة عشر من عمرها .

تذكر ذلك اليوم ..وذلك الثوب الذى كانت
ترتديه .

كان محمود يومها يتجول حاملا الكاميرا
الخاصة به . لاقطا صورا لكل من بالبیت .

لكنها لا تذكر قط انه التقط لها صورة .

فهى لا تبدو ملاحظة لالتقاط تلك الصورة .

فهي كانت تلوك احدي قطع الحلوى التي
خصها بها بينما خصلات شعرها المشعث
جعلتها تبدو بريئة برغم الشراسة التي كانت
تتمتع بها في تلك الفترة .

لماذا احتفظ بصورتها هي علي الاخص

..برغم كل ماالتقطه يومها ؟

لماذا هي دون غيرها ؟

اعادت الصورة الي موضعها في محفظته
بينما تخرج سريعا كلص يخشي ان يقع في
قبضة العدالة .

خرجت الي الشرفه تفكر .

صورتها ..اتهام نفسه بالعقم ..تمسكه بها!!

هل

هل يحبها؟؟

بالطبع يحبك يا غبية ..ولكن كاخت له .

وليس النوع الاخر من الحب .

ولكن ..

الم يصرح لامه منذ قليل انه يحب زوجته ..

ومن قبل صرح لامك بذلك !!

ربما هو مجرد كلام ..

ولكن ..

ولكن لما ..

هل تصل به التضحية الي هذا الحد؟

ام انه..

يحبها؟!

لو كان ..لاخبرها ..

لصارحها ..

لقالها صريحة لها ..

لقال احبك .

ولكن..

لو كان يحبها. لكان ذلك هو التفسير الوحيد

والمنطقي لصبره عليها ودفاعه عنها .

يحبها ؟

يحبها ؟

لم تعرف لما ابتسمت مع الفكرة ..

فالفكرة ليست سيئة وانما حلوة ..

اتسعت ابتسامتها بينما تتخيله يقولها .

امن الممكن ان يكون فعلا .

لو كان يحبها حقا فهي عمياء لا ريب .

ولكن ذلك ليكون امرا جميلا ..

فهي وبعد معيشتها لسنوات بالقاهرة ..الا

انها تفضل الرجل الذي يعتنق افكار محمود

...برجولته وخشوته ..يعرف عاداتهم ولا

يسخر منها. .

هي معجبه به منذ زمن ..

ولم تتردد مره باخباره باعجابها.

ففي كل مأزق تقع به كانت تهتف به :"
حفظك الله لي من كل شر .."

ثم تقول بابتسامة حلوة شاكرة له صنيعة :"
كم انت جميل يا محمود.. .. كالعسل ".
كان يقابل كلامها بضحكته الرنانة الحلوة ..

هل كانت تتغزل به دون ان تقصد؟
لكن .. لكنها كانت طفلة ...تردد جملا كانت
تسمعها من امها امامها عن ابيها ..
ولكنها كانت تعي انها تدعو الله بان يبقيه
لها ويحفظه لها.

وحفظه الله لها .

كانت تتخبط في افكارها .. وذكرياتها ..عندما
دخل عليها الشرفه بجلبابه البني اللون .

وجدت نفسها تتأمله.

انيقا للغاية او " قمر "

كما قالت ايمان زميلتها .

وسيما... للغاية ..

ولكن وسامته ليست هي سر جاذبيته

الواحد..فهي تعرف الكثير من الرجال

الوسيمين...ولكن ثقله الظل..مغرورين

بوسامتهم .

ولكن محمود..

محمود فيه رجولة وثقة طاغية ..

ثقة تجعل الرجال الاكبر سنا ينصتون له

بامعان ..

و له ...

و له مهابة.

مهابة ترعب من يحاول ان يعاديه ..

وكأنه خلق ليقود .

غير مدركا لوسامته ...او لنظرات الاخريات به

..

مما يزيد جاذبية .

توترت من طول نظراتها له ..

فهى تراه الان بعين مختلفه ..عين فاحصة

..عين تبحث عن ادلة لما توصلت اليه .

بادرها بينما يجلس ببساطة في المقعد

المواجه لها : " لماذا تجلسين وحدك؟"

قالت بهدوء متأمله ملامحه: " لم اجدك

..لنجلس معا !"

سال باندهاش : " لما ؟اهنا شيئا ؟"

هزت رأسها نافية؛ فسأل بفضول : " ولما

تريدين الجلوس معي الان ؟"

اجابت ببساطة : " منذ زمن لم نجلس معا
لنتحدث .. اتذكر يا محمود عندما كنت
تجلس علي تلك التبة؟؟ "

واشارت الي تبة تبدو جلية من الشرفة .
تذكر يوم كانت تلعب مع ابناء اخوالها
وخالتها ..

عندما راته يجلس مهموما علي تلك التبة ..
كان يبدو شاردا في امرا جلل ..لم تعرفه ..
ولكنها تشاغلته عنه باللعب الذي انتهى
ككل مرة بالشجار ..تطور الشجار يومها ..
وشعرت بقرب هزيمتها وهي لم تعتد
الهزيمة فلجأت الي حجر صغير ورمته علي
ابن خالها تقصد تخويفه ..ولكن ابن الخال
سالت الدماء من رأسه فبدا بالصراخ والجرى
وراؤها والتوعد بقتلها .

اسرعت ساقئها بالهرب ..ولم تجد مفرا الا
محمود الجالس بعيدا علي التبة .

فهو دوما من تلجأ لتهرب من العقاب ..

لم ينتبه محمود الي ما حدث ...ولكنها حاولت
صعود التبة بخوف عندما تدرجت قدمها
..فسقطت على نتوء في حجر جرح ساقها .

كان الجرح يبدو عميقا ومؤلما .

تذكر تشفي ابن الخال الذي قال مكررا :"
الله اقتص لي منك".

فزع محمود من مشهد الدم الغزير بينما
يحملها عائدا بخطوات مهرولة الي المنزل .
بينما تضغط يده علي الجرح ليوقف سيل
الدم الهادر .

كانت تحاول ان تبدو متماسكة بينما تأمره :"
دعني .. استطيع المشي وحدي دون
مساعدة من احد ."

رفض ان يضعها لتمشي بينما يقول مهونا
:" انتي خفيفة الوزن ."

يومها ارسل سريعا في طلب طبيب جارهم
ليرى ويطهر الجرح .

تذكره يومها ...كان حنونا بينما بقي معها
طيلة ذلك اليوم .

كان يواسيها عندما تتالم من الجرح
..ويعطيها الحلوى لتلتهي عن الالم .

كانت ترى في نظرتة الان انه قد تذكر .

قال مجيبا سؤالها عن التبة ضاحكا : " لقد
كسرتي ظهري يومئذ ."

قالت مهاجما: " ماذا؟..لقد كنت نحيفة
للغاية و خفيفة...ثم ان ذلك لم يكن كلامك
وقتها!"

سالها: " امازالتى تذكرين؟"

اجابت بفخر من ذاكرتها الفولاذية: " بالطبع
."

فاستطرد مبديا خوفا مصطنعا: " من المؤكد
انى لو حاولت ان احملك الان سيكسر ظهري
حقا هذه المرة."

قالها بينما يقف بالفعل محاولا رفعها بين
زراعيه.

كانت تلك اول مرة يكون فيها بذلك القرب
منذ زواجهما..او علي الاصح..منذ نضوجها.

اضطرت الي وضع زراعيها خلف رقبتة حتي
لا تقع بينما ترجوه: " انزلني يا محمود
..سأقع"

لكن رجاءها مات عندما رفعت عيونها اليه ..
كانت تنظر اليه وكأنها اول مره تراه .
وعيونه ..

عيونه العسلية اللون. .بدت مملؤة بالحنان .
حنان فطرى.

حنان اعتادت عليه .

حنان شعرت انه يخصها وحدها به ...

دوما كان رجلها...وحاميها .

شعرت انه يكفيها عن العالم ..

للحظة كالسحر ..

نظرت اليه وكان العالم لا يضم سواهما .
ولكن تلك اللحظة السحرية انتهت بدخول
والدته عليهما من الباب الذي تركه محمود
مفتوحا .

نظرت الام اليهما باحراج ..

بينما تسعل بافتعال .

كانت عيون الام منتفخة باحمرار من البكاء .
وزاد ارتباك نهى بينما تنزل من بين زراعي
زوجها الذي تركها طواعية الان .

كانت تشعر بوجهها يلتهب .. فلاول مرة
يحدث تقارب بينها وبينه ... وكان هناك شهود
علي ذلك التقارب .

صرحت الام بخجل : " ان نأكل يابني
...الطعام جاهز باسفل . ولم تنزلوا بعد "

اجاب محمود : " سناكل هنا اليوم ياامي
..وحدنا "

اومأت الام بطاعه غربية عليها
كان هناك توترا بينهما ...بعد النقاش الحامي
الذي سمعته مصادفة

استطرد بهدوء : " انا ونهي سناكل هنا ".
بدا وكأنه لم يلاحظ آثار بكاء امه او ارتباك
زوجته..

كانت تشعر ان نبضات قلبها تكاد تكون
مسموعه ؛ حتي لو لم يلاحظ ارتفاع اللون
الاحمر الذي زحف علي وجنتيها .

فلقد وضح ارتباكها .

تركتهم الام مستسلمة حتي عندما حاولت
نهى ان تستفسر لماذا طلب ان ياكل معا
باعلي هذه المرة ...لم تفعل ..لم تجد صوتها.
لم تستطع سوى ان تصمت وكان ما يحدث
بداخلها من مشاعر واكتشافات قد اخرسوا
لسانها .

لم ينظر اليها محمود بينما يعود الي كرسيه
في الشرفه .

ولم تعرف هل لاحظ ما حدث منذ دقيقة ام
لا ..

لم تستطع ان تمنع نفسها من النظر اليه ..
من تأمله ..

كيف يمكن ان تكون ملامح شخص ما
..بالامس عادية بالنسبة اليك ..

واليوم تصبح غاليه جدا ..

كيف يمكن ان تتغير نظرتك الي شخص ما
بين يوم واخر الي هذا الحد ..

ولكنها..

لكنها لا تعرف هل يحبها ام لا ...ام انها مجرد
تكهنات منها فقط.. .

لاحظ نظراتها له ؛فسالها : " ماذا هناك؟"

سالت : " اتريد الصدق؟"

اجاب رافعا حاجبيه : "بالطبع".

اجابت بتردد: " لقد سمع..سمعت ما قولته
لوالدتك".

شحب وجهه ... فلم يتوقع ان تعرف .

لم يرد فسالت بخفوت : " لماذا يا محمود
قلت ما قلته؟"

اجاب بضيق بعد تنهيده: " كان لابد لهذا الامر

ان ينتهي ...لابد لهذا الموضوع ان يغلق "

اجابت بعدم اقتناع: " لكن ...لكن هذا الكلام ..

قاسي قاسي علي كلاكما ..عليها ..وعليك

..لماذا اتهمت نفسك بتلك التهمة الشنيعة

"؟

رد بلهجة تحذيرية: " نهى...انا لا اريد التحدث

في هذا الموضوع "

قالت بتصميم: " لكنى اريد التحدث ..اريد ان

اعرف "

صمت حتي تخرج ما لديها فاستطردت: "

اتريد ان تتزوج؟"

مط شفثيه ؛ ثم رد: " انا متزوج بالفعل "

رفعت حاجبيها وقد لوت شفثها العلوية ؛ثم

قالت: " انت تعلم جيدا ما اقصد ..انا اقصد

..اتريد الانجاب؟ ...اتريد بيتا و اطفالا؟...اعني

..اتريد اسرة؟"

لم يجيب ..

كانت نظراته اليها جامدة ..

لم تفهمها ..

فعدت تسال باصرار اكبر: " محمود ..اعلم
اني كنت انانية معك للغاية ..وكل تفكيرى في
نفسي ..اعرف اني لا استحق ان تدافع عني
..او ان تتهم نفسك انك ...انك ... لاجلي!"

ظل صامتا ؛مما اربكها ..

ولكن لم يكن ينفع التراجع الان ..

سالت بينما تتأمله لتسبر اغواره: " اجبني يا
محمود .. لماذا وافقتني ان نتزوج علي

الورق .. زيجة صورية !! لماذا تسمح بضياح
سنوات عمرك هدرا؟! ..لماذا يا محمود؟

تنهد بصمت موجوع ..

فوقفت بينما تقول وقد عزمت امرها : " اذن
.. ساذهب الي جدى .. وساخبره ان يطلقنا
..حتى يتسني لك ان تتزوج "

اشتعل وجهه بينما يمسك يدها ليوقفها ؛
بينما يقف مشرفا عليها بطوله الفارع ويقول
بصرامة : " ها قد عرفت ..كل تلك المقدمة
..لاجله ؟"

كررت بغباء : "ماذا؟...من؟"

كانت تهز راسها بشكل غبي وهي غير مدركة
لما يقول .

قال موضحا بينما يهزها: " حبيب القلب
..ذاك الذي رايته يوم اتيت لك كليتك بينما
يمسك يدك ..

اتعتقديني غر ..ابله؟؟ ..

بالطبع تريدين الان الطلاق من ابن العم
الغبي لتتزوجي من هذا العاشق المدله ..لا
ياابنة عمى ...لن يحدث ..

انتي زوجتى ...وستبقين كذلك ..برضاك او
بدونه .. اذهبي الي الجد واخبريه برغبتك
بالطلاق ..وساذهب انا ايضا ..وساخبره بكل
شئ ..

عندئذ ستكسبي عداوة الجد وابوانا..عداوة
الجميع .. لكن في الواقع ..من يجب عليك ان
تخشيه ...هو انا ."

تركها وخرج ..بينما تقف في ذهول ..غير واعيه
الي احمرار ساعدها من قبضة يده .. او الالم ..

تذكرت ما حدث ..

اول مره يحاول احمد ان يمسك يدها كانت
تلك المرة التي شهدها محمود ..

فهم محمود في ثواني ان احمد يحبها من
نظرته لها ..واعتقد انها تريد الطلاق لانها
تحب احمد ..

محمود مخطئ ..

بالطبع مخطئ ..

لكن ..

كيف انقلب كل حنانه وتفهمه الي كل هذا
الغضب ..وهذا العنف ..

اول مرة ينفعل كل هذا الانفعال ..

لقد عرفته طيلة عمرها ولم يسبق له ان

انفعل عليها من قبل ..

برغم انها فعلت في اوقات ماكان يستلزم ان

يضربها بالرصاص علي حد قول والدتها ازاء

شقاوتها .

ولكنه رغم ذلك ؛كان صبورا ..صبرا كبيرا ...

كان يبدو ضعيفا امامها..

والان ..

الان فقدت الصبر والحنان ..

لم يعطيها الفرصه لتوضح له خطأ تصوره .

لقد تحول حنانه الي كراهية لا ريب ..

يهددها ..

كيف يهددها باخبار الجميع عن حقيقة

وضعهما !!

كانت تعلم كيف سيتعامل والدها مع
الوضع..وكيف سيعاقبها..وتعرف ايضا كيف
سيتعامل والديه .. وعلي الاصح والدته ..
اما جدّها..

فلا داعي التفكير فيه .

من الواضح ان اليوم كان صعبا علي محمود
..ولابد انه انفعل بسبب ضغوط والدته ..
ومن المؤكد ان مزاجه سيصفو بعد قليل ..
فهى لا تظنه صادقا في تهديده ..

لا يمكن ان يفعل ذلك بها ..

انه سرهما معا ولا يمكن ان يكشفه
رأته من الشرفة يتوجه الي التبة .

كما حدث يوم جرحت ساقها .

كان اقصر قامة من الان...لم تنمو عضلاته
الي هذا الحد الذي يجعلها تبرز تحت جلبابه
كما هي بادية للعيان برغم المسافه بينهما ..

كان شاردا ..كيومها ..

عابسا ..

اذن هو يذهب الي تلك التبة عندما تزداد
عليه الضغوط.

جاء الطعام ..لم تستطع ان تتناوله ..دونه .

وقفت بالشرفة تتأمله في جلسته .

كان جالسا في موضعه لساعات .

لكم يؤلمها ابتعاده ..

ترددت ..

لكم تود ان تذهب اليه وتخبره انها لا تحب
احمد .. وانها لا يمكن ان تحبه يوما ..وانها لو

احبت ..او ارادت رجلا لحياتها ..فستحب رجلا
مثله.

سألت نفسها في دهشة وقد فاجأها تلك
الحقيقة ..

محمود ..هو رجل حياتها ..دوما ماكان ..
هو من تريد ..ولكنها لم تعرف ذلك سوى
اليوم .

فهاهي لا ترجو الا رضاه ..

لماذا لم يكن ذلك قبل اليوم ..لماذا لم تعي
ذلك يوم زواجهما ..ليصبح زواجا طبيعيا ..
لماذا الان؟ألانه اوشك ان يضيع من بين
يديها؟!

الانه اوشك ان يكون لغيرها ؟

هل ..هل تحبه حب تملك؟!

تريده لها ..ولا تريد سعادته؟!

ولكن لا ..لو كانت كذلك لما عرضت ان
تحدث جدها ..لما سمحت ان يكون لغيرها
..ولكنها ..لكنها تريده سعيدا .. حتى لو مع
غيرها ...وستكون سعيده لسعادته .

فرحت بينما يصل عقلها الي حقيقة
مشاعرها ..ان ترجو سعادة الاخر حتي لو
كانت ضد سعادتك. هو التعريف الوحيد
الاصح للحب ..

الم تسمع دوما تلك الجملة الشهيرة التي
تقول 'تعرف انك تحب عندما تسير في
عكس مصالحك '

سعدت انها تحبه ..و..ولديها شكوك انه يحبها

..

وغيرته الآن..

الا يقولون الغيرة دليل الحب .. بل هما

وجهان لعملة واحدة ..

وانفعاله .. تهديده ..كلها ...كلها تقول اشياء.

وقفت علي بعد خطوات من التبة حيث
يجلس منذ ساعات ؛فقد اوشكت الشمس
علي المغيب .

نادته : "محمود "

شعرت بجسده يتصلب ولكنه لم يلتفت
نحوها ؛عادت تقول : " لم تاكل حتي الان .. "

لم يرد..

فاستطردت : " انا جائعة ...ولقد قلت اننا

سناكل سويا "

لم يرد ايضا ..

فتنهدت بنفاذ صبر: " لقد قولت اننا سنظل
متزوجين .. وانا موافقة برضاي ..اقسم لك
..انا احبك ولا اريدك ان "

رفع راسه دهشا بينما يقول مقاطعا: "ماذا؟"
قالت ببراءة: " اقول اني لا اريدك ان تغضب".

سال وقد انعقد حاجباه: " ماذا قولتي قبل
ذلك؟قولتي انك تحبيني؟"

قال بصدق: " بالطبع احبك".

تنهد بينما ينظر الي اسفل التبة: "كاخيك. ..
تقصدين؟"

ردت ساخرة: "وهل يجوز ان اتزوج اخي؟"

عاد يرفع راسه: "هل تقصدين؟"

نظرت الي قدميها بينما تجيب: " اكيد".

سأل بتشكيك: " و ... و زميلك؟"

اجابت باستنكار: " وهل جننت ...كيف احب

رجلا بينما انا ...انا متزوجة "

فقال بابتسامه لم يستطع منعها: " زواج

علي الورق فقط."

ردت باستنكار: " حتى لو. ...انا احب زوجي "

قام واقفا ينظر اليها وكأنها خيال ..ثم همس

بصوت اجش: " نهى "

تجاهلت نداؤه بينما تكمل: " بقدر حبه لي "

سال باتهام وقد ادهشه قولها: " اذن ..كنتي

تعلمين !"

اجابت بدلال: " عرفت اليوم فقط ...لانه ماكر

للغاية ...ولكنى رغم مكره عرفت "

رد بابتسامه كبيرة اضاءت وجهه: " وكيف

عرفتى؟! "

قالت بزهو : "فعلت كما تفعل اى زوجة
جيدة و قمت بتفتيش محفظته ...ووجدت
الصورة ...محمود ...لما هذة الصورة علي
الاخص ؟!"

شدها ؛ ليجلسا معا علي التبة وهو يرد : "هل
تتذكرين عندما كان عمرك 14عام ؛ ومرضتى
بشدة ..كانت حرارتك تجاوزت الاربعين
..كانت والدتك تسهر بجوارك وقد عادك
الطبيب معطيا الادوية لخفض الحرارة ..
في تلك الليلة بقيت ساهرا امام باب غرفتك
..وكلما خرجت والدتك لجلب المزيد من
الثلج لاجل الكمادات الباردة ..اسالها دون
ملل : " امازالت الحرارة مرتفعه؟!"
اتذكر في تلك الليلة تيقظ جدى ..فيما يبدو
كان قلقا هو الاخر مثلنا ...

نظر لي طويلا ثم قال آمرا: "كن رجلا.. خفف
من اهتمامك قليلا.. درجة حرارتها مرتفعه
قليلا... وساعات وستنخفض.. لم يعد امامك
سوى سنوات قليلة وستهون... فقط تكمل
هى ال18.. وسازوجها لك في عيد ميلادها.."

عندئذ لم استطع ان امنع ابتسامتى
وسعادتى الظاهرة رغم قلقي عليكى بينما
اهتف به متأكدا منه: "احقا يا جدي؟!"

هز رأسه موافقا بينما يقول: "حقا يا بنى..
ولكن عليك بالتأني وعدم اظهار مشاعرك
..لانها لو عرفت انك غارق في حبها الا هذا
الحد لن تصبح الرجل في بيتك".

صدق جدي بانها سويغات وستنخفض
الحرارة ..

و انخفضت ... ولكنك لزمتمى الفراش لايام ..

وعندما بدأت بالخروج؛ احضرت الكاميرا و
تصنعت التقاط صوراً للعائلة بأكملها فقط
لالتقط لك الصور ...

كنت أريد أن احتفظ بصورة لك خاصة مع
سفرى المتكرر للقاهرة ..

كنت خجلاً ..

أخشى أن يعرف أحد أنني قد اصطنع
المواقف لالتقط لكى صورة ..

أخشى أن يعرف أحد بحبي .. واني أتصرف ك
..كالمراهقين ..

كنت أعد الأيام والشهور والسنوات حتى
أقترب اليوم الموعد ..

خشيت أن يكون جدي نسي وعده لي ؛
فذهبت إليه : " جدي ... لقد أصبح عمري 28
عاماً ... "

اجاب بمكر وقد ضاقت عيناه بنظرة جانبية
:"اعلم ذلك ."

فقلت مباشرة: "ونهى سيصبح عمرها
18عاما بعد شهرين يا جدي".

رد ناهرا: "الم اقل لك اصبر..."

رددت وقد ظهر انفعالي: "صبرت...صبرت
كثيرا يا جدي..لكن لا تستطيع الصبر اكثر".

رد جدي بابتسامة اشفاق: " اذن سنجهز لك
الدور العلوى ليكون لكما..وسنعقد القران
يوم مولدها .. ولكن يا ولد...اول طفل
...سيسمى مصطفى علي اسمى".

لم استطع ان امنع نفسي من تقبيله بينما
اهتف واعدت: " كلهم سأسميهم مصطفى.
اعدك".

ضحكت نهى علي كلامه الذي يعكس لهفة
جهلتها لسنوات بينما تورد وجهها خجلا
لاعترافه ثم طلبت بلهفة: " اكمل ..".

هتف متهربا: "اكمل ماذا؟؟ "

وكزته بكوعها ممازحة بينما تكرر: "اكمل".

عاد يستطرد: "لا شئ مهم حدث سوى ان
جئتى الي تشتكى انهم يريدون انهم يريدون
تزويجك لرجلا لا تحبيه ..

كدت اجن ..كدت اخبرك بمشاعرى لكن بدا
لي انك غير شاعره بحبي ..بل بدا انك غير
مستعدة ان تسمعيني علي الاطلاق ..

كان الامر الاصعب ان اذهب الي جدي اخبره
بانك لا تريدينى ...كان هو الوحيد الذي يعرف
حقيقة مشاعرى ..

دخلت غرفته وكلى حزن ؛ فسألنى
مستفسرا : " ما بك؟ ما الذي حدث؟"

اجبته مقتضبا : "لا تريدنى".

هتف الجد : "غبية".

ثم مستطردا : "غبية جدا. ..ولم تفهم ولا
تعرف شيئا .. وهل توجد فتاة علي الارض
تجد رجلا يحبها مثلك الي هذا الحد ..وترفض
ذلك الحب".

نظرت الي الارض بيأس بينما اسال جدى
مستشيرا لعلي اجد عنده الحل : " ماذا افعل
ياجدي ؟وما الحل؟"

قال : "ستتزوجك ..رضيت ام لم ترضي".

سالته وقد هالنى جوابه : "استتزوجنى دون
رضاها؟"

اجاب مؤكدا: "نعم ..ستفعل ..دع هذا الامر لى
..ساعرف كيف ساجعلها توافق".

وقتها شعرت بان صورتي امامك وامام
نفسي ...بل وامام الجميع ستكون بغاية
السوء ..

كيف اقبل علي نفسي ان اتزوجك رغما
عنك؟؟

كيف اقبل ان تساقى الي زفافي كمن تساق الي
الموت؟؟

اوجعتيني ...بشدة ..

عدت اليك اخبرك بقرار جدى ...

افتلعت حوار اخر بيني وبين جدى وسردته
لك ..

حوار يحفظ لي ماء وجهى ...

حوار يربطني بك ولو اسميا ..

مقنعا نفسي انه فقط يلزمك الوقت لتكوني
لي بارادتك ..

لتبادليني مشاعري ..

لتشعري بي ..

عامين كاملين ..

كنت لك اخا وصديقا ..ولى امر ..اي صفة الا
صفة الزوج والحبيب ..

عامين كاملين حاولت الاقتراب منك بحذر ..

وكأني اطا ارضا محرمة ..

ارضا اخشي الانزلاق والخروج منها ..

عامين كاملين ..ابحث في عيونك عن امل لي

..

عامين كاملين ... ابحث فيهم عن اشارة ان

حبي لن يذهب سدى ...

انى بانتظارى و يقينى انه يومما ستكونين لي

لم يكن يومما حلما ..

او مستحيلا ..

لعامين كنت اوهم نفسي بانك لى ..

اوهم قلبي بانك يومما ما ستعرفي .. وستتغير

نظرتك لى ... لن اكون وقتها محمود ابن العم

... او حتى الاخ ..

ولكن لافائدة.

رأيت زميلك يحاول الامساك بيده ..

رأيت في عيونه ما في عيوني ..

رأيت فيه محب اخر. عاشق اخر لا يعرف

موضعه ..

وبرغم الحريق بداخلي شعرت بالشفقة
نحوه ..

قاطعته : "محمود ..لابد ان اوضح لك شيئا
..انا واحمد لا شئ بيننا ..

انا اعلم انه يحبني ولكنه لم يقل لي شيئا
لاوضح له انه لا مكان له بحياتي ...

عندما رأيته يمسك يدي :كانت تلك اول مره
يفعلها ..

ولولا قلقي لرؤيتك لكان لي تصرف اخر علي
فعلته تلك ..

انت تعلم جيدا اخلاقي "

هز رأسه موافقا ..فهو من رباها ...يعرفها كما
يعرف نفسه ..

رفع رأسه اليها ناظرا ..

كان ينظر لها وفي عينيه احتياح الي توكيد
منها علي مشاعرها .

فقالتم بهمسم معترفه هى الاخرى : " كدت
اجن بينما ارى والدتك تريد تزويجك باخرى
..كنت اود ان افعل شيئا ولكنى لم اكن
ادرى ما هو ..

كنت خائفة ان تكون موافقا عما تفعله
..خفت ان تكون في الحقيقة تريد الزواج
باخرى ..لم اكن اعلم موقعى بحياتك...لم
اعرف ماذا اعنى بالنسبة لك ."

قاطعها مؤكدا بلهجة قاطعه : " لم اكن
لافعلها قط ."

ابتهجت من توكيده القاطع ..

لم يكن ليفعلها ..

سالته بدلال : "محمود..منذ متى تحبني ؟!"

اجاب بينما يرتب علي شعره الناعم
الخصلات مبديا حيرة: "لا اعلم ...

ربما يوم حملت رضیعة عمرها يومان بينما
يقول جدي: 'لقد اسماها عمك نهى
...سازوجك اياها يامحمود عندما تكبرا !'

ربما يومها احببتك ..

مازالت اذكر ابتسامتك وقتها ..انا احب
الاطفال ..

لكن يومها كان احساسي مختلف .. احساس
جميل للغاية ..

بينما ابادلك الابتسامة ..

الا يقول الله تعالي 'خلق لكم من انفسكم
ازواجا !...انه اجمل تعبير يصف احساسي
عندئذ ..كنت ارى جزءاً من نفسي يتسم لي ..

لا اجيد الوصف ..

لكن بينما اراك تكبرين امام عيوني يوما بعد
يوم ..

كنت اعلم انك لى ..وانى لا احتاج الا الي الصبر

..

الصبر لتكون لى حقا ..

عندما اخبرتيني انك لا تريدنى زوجا
...اظلمت الدنيا بعيونى ..

كل ما كنت انتوى ان اقوله لكى ..او افعله
لاجلك ..

كل ما صبرت سنوات طوال لاحادثك عنه
..لاصفه لك ..

لاحكى عن مشاعرى واحاسيسي واترجمها
علي ارض الواقع ...

دفته ..

بقيته بعيدا جريحا ..

خفت ان يظهر ولو جزأ يسير منه ...فيكون
رفضك قاطعا لى و ينهى كل ما بيننا الي الابد
...حتى الاخوة ...

ايضا خفت ان تقبله ..

خفت ان تقبله شفقة ..

او عن عدم اقتناع ..

سيكون ذلك اكثر ايلاما من رفضك ..

ربما قبلت ان ابقى بجوارك كأخ او صديق
..افضل من الا اكون علي الاطلاق ..

كنت ارى ان بعدك عني فيه موتى ..فيكفي
ان اعيش بقربك ..".

نظر الي الارض بينما يهمس: "اخبرك سرا؟"

هزت راسها بينما يتأكلها الفضول
؛فاستطرد: " كدت اوقف الزفاف.

قبل زفافنا بيوم كنت افكر ..

كرامتى ثارت ووجدت نفسي اعيب علي
نفسي القبول بالزواج من امراه لا تريدني ..

كيف اقبل علي نفسي ان اجبر امراه ان
تتزوجني وهى لا تريد ..

حتى ولو كان زواجا اسميا فقط..على ورق.
غير حقيقي..

لكن جاء الرد من قلبي قويا 'انها نهى ..نهى
يا محمود امنية العمر وصبر السنين الطوال
..انها المعركة الوحيدة بحياتي التى لا يمكننى
ابدا ان اهزم بها ..

او لا ادافع عن حبي؟؟

الرجل لا يهرب ...الرجل يحارب من اجل حبه
حتى لو كنت ساحار بك انت ."

كان رأسها مستندا علي كتفه ..

تنهدت ثم قالت بخفوت : "اتعلم. ربما انا
ايضا احبك منذ زمن ."

رفع رأسه وقد تنبهت حواسه ..

بينما استطردت هي : "لم اكن مثل الفتيات
اتخيل فارس الاحلام بحصان ابيض يحملني
لنهرب بعيدا. لم اتخيل عمري ان اكون لآخر.

لم اتخيل عمري الا تكون بحياتي يامحمود ..

محمود انا اسفة علي كل تلك السنوات
التي ضاعت منا ..اعدك اني ساحاول ان
اعوضك عنها ."

رفع ذقنها بينما يسال بلهفة : " احقا .. اتعنين
انك موافقة ان تبقي زوجتى وحببتي الي
الابد "؟؟

اومأت بابتسامة خجلة ..

امسك يدها بينما ينهض عن التبة مسرعا
الي المنزل .

سالته مندهشة من سرعته : " ماذا حدث؟ "

رد بابتسامة غامزا : " لقد غابت الشمس .. وانا
... انا جائع " .

وقفت فرحة تراقب زوجها الذي ينزل
الدرجات مسرعا ينادي جده ووالدته ..

لم تستطع ان تمنع نفسها من الابتسام
وهى تراه في خليط من المشاعر فيبدو عليه
الذهول والارتباك والفرحة ..

خرج الجد من حجرته ملبيا نداء الحفيد

:"ماذا هناك يا محمود؟"

فرد محمود بفرحة عارمة : "مصطفى سيأتي

يا جدى".

ابتسم الجد الذي فهم سريعا مقصده .

بينما الام التى لم تفهم شيئا هتفت بابنها

:"مصطفى من؟"

احتضنها محمود بينما يوضح : " مصطفى

ابني يامى.. نهى حبلى . ساصبح ابا "

كانت فرحة محمود غير مسبوقه..

اول مرة تراه بتلك السعادة ..

ترك والدته التى انطلقت زغاريدها تجلجل

المنزل والتى سرعان ما شاركتها فيها والدة

نهى ..

اعطي الجد اوامره بذبح الذبائح ابتهاجا
بالحبر ..

ثم مال علي حفيده مستفسرا: "مصطفى؟"

كان يريد التأكد من اختيار الاسم .

رد محمود مبتسما: "بالطبع يا جدي
...ساسميه مصطفى.. كلهم ساسميهم
مصطفى ..".

اشار الجد بيده مكتفيا بينما يقول غامزا
:"يكفي مصطفى واحد ...مبارك يا ولدى".